رسالة علماء وأساتذة الحوزات العلمية الشيعية والسنية في إيران إلى الأزهر الشريف في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين و الصلوة و السلام على سيدنا محمد و آله الطاهرين و صحبه المنتجبين

إلى حضرة فضيلة الشيخ أحمد الطيب، الإمام الأكبر لجامع الأزهر الشريف، وكافة العلماء الكرام فى هذا المجمع العلمى العريق،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إن الأزهر الشريف، بوصفه أحد أبرز المراكز العلمية فى العالم الإسلامى، كان فى عصره الذهبى تحت إمامة فضيلة الشيخ محمود شلتوت (رحمه الله)، الذى أصدر فتواه التاريخية بالاعتراف بالمذهب الجعفرى الشيعى إلى جانب المذاهب الأربعة لأهل السنة، وقد اتخذ خطوات جسيمة فى سبيل تقريب المذاهب وتحقيق وحدة الأمة الإسلامية، ليكون نموذجاً ملهماً للعقلانية والعدالة والسعى من أجل تماسك الأمة الإسلامية.

نحن، العلماء والأساتذة فى الحوزات العلمية الإيرانية (سنة وشيعة على حد سواء)، ونحن نحترم هذا الإرث الثمين، لقد اطلعنا على البيان الأخير الصادر عن الأزهر، والذى استخدم فيه تعبيرات مثل «التجاوز غير المبرر من قبل الجمهورية الإسلامية الإيرانية» و«البغى» لوصف الإجراءات الدفاعية لإيران. وقد أثارت هذه الصياغة تأسفنا وقلقنا شديداً، إذ كنا دوماً نعتبر الأزهر مركزاً علمياً رئيسياً للأمة الإسلامية.

من الناحية الفقهية، فإن إطلاق وصف «البغى» على إجراءات دولة إسلامية تتصرف بصفة الدفاع المشروع عن سيادتها وسلامتها الإقليمية ومصالحها الحيوية فى وجه الاعتداءات الخارجية، لا يتوافق مع طبيعة التصرف الإيرانى فى دفع المعتدى. كما أن تهميش وصف البغى لإيران يُعد نوعاً من التهديد الضمنى بالقتال ضدها. لقد أمر القرآن الكريم صراحةً بالدفاع المشروع، بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، وقوله أيضاً: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39].

وكما هو معلوم، فقد تعاونت بعض الدول العربية فى المنطقة، للأسف، بشكل واسع مع الولايات المتحدة والنظام الصهيونى من النواحى اللوجستية والمالية والاستخباراتية، من خلال استضافتها للقواعد العسكرية الأمريكية على أراضيها. فكيف يمكن للعدو أن يرتكب مثل هذه الجرائم لولا توفير هذه القواعد له؟ علاوة على ذلك، فإن الهجمات الجوية والبرية التى شنتها هذه الدول العربية على مدن إيران ومؤسساتها قد سبقت أى إجراء تدافعى من جانب إيران. فكيف يتغاضى الأزهر عن هذه السوابق، ويكتفى بتسمية الإجراءات الدفاعية الإيرانية بـ«التجاوز» و«البغى»؟ إن هذا الموقف الأحادى يتعارض مع قواعد القضاء العادل ومع مبدأ الدفاع المشروع المستند إلى الآية الكريمة: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.

إن بيان الأزهر يشير إلى الهجمات التى استهدفت المدنيين والمرافق الاقتصادية لبعض الدول الإقليمية التى تعاونت مع أمريكا والنظام الصهيونى فى الاعتداء على إيران، فى حين أن إجراءات إيران كانت موجّهة حصراً نحو القواعد العسكرية المعادية المرتبطة بالمعتدين. والأكثر أسفاً هو صمت الأزهر التام إزاء الفظائع المروعة للهجمات الأمريكية من البر والجو والبحر، انطلاقاً من أراضى الدول المجاورة ضد إيران. ألا كان بمقدور الأزهر فى مصر، أن يرسل رسالة أو يصدر بياناً، أو يرسل وفداً نيابة عنه إلى مدينة ميناب، ليشرك آباء وأمهات تلاميذ المدرسة الشجرية الطيبة (الذين بلغ عددهم 168 طفلاً، ذكوراً وإناثاً) فى غمهم، وليقوم، مثلما فعلت وفود العلماء من الشيعة والسنة الذين

زاروا ميناب، بواجب التعزية الإسلامية للعائلات المصابة؟ وللأسف، فإن هذا التباين فى المواقف يثير الشكوك حول هيمنة القومية الضيقة أو الضغوط السياسية للحكومة المصرية على المؤسسة العلمية للأزهر، مما يزعزع مكانته التقريرية.

يطلب الأزهر من إيران احترام السيادة، والحسن الجوار، والقوانين الدولية، لكنه يصمت إزاء الاعتداءات الواسعة للنظام الصهيونى، وإنشاء القواعد الأمريكية فى الأراضى العربية، والهجمات المتكررة من الأراضى والجو العربى ضد إيران الإسلامية. فى المقابل، دعا البابا ليون الرابع عشر خلال الأسابيع الماضية مراراً إلى رفض اعتداءات أمريكا وإسرائيل وإلى السلام. فكيف للأزهر، الذى يدعى العقلانية ولديه سجل واضح فى تقريب المذاهب، ألا يصدر كلمة تدين أمريكا والنظام الصهيونى وتدين تعاون الدول العربية مع إيران؟ هل الأخبار الموجهة والضغوط السياسية قد عميت بهذين المركزين عن مظلومية الشعب الإيرانى، والإجراءات الشجاعة لإيران ضد مخططات التوسع للنظام الصهيونى؟

أيها العلماء الكرام فى الأزهر الشريف؛ يجب أن نقول باحترام إن مثل هذه التصريحات قد تهيئ الفرصة للأعداء المشتركين للعالم الإسلامى للاستفادة منها، وهو ما يجب على المراكز العلمية الحذرة أن تتنبه له جيداً حتى لا تعطوا العدو ذريعة.

كما نحذر من أن مثل هذه المواقف قد تشجع على عدم مسؤولية بعض الدول العربية فيما يتعلق بأفعالها العدائية من أراضيها، مما يهدد وحدة الأمة أكثر من أى وقت مضى.

نحن الموقعون على هذا الخطاب، وفى ظل دعوتنا للأزهر لإجراء بحث مستقل، وإعادة النظر فقهياً وقانونياً، والحوار المباشر بين المراكز العلمية، نؤكد على ضرورة تعزيز العلاقات السليمة وتصحيح المواقف المعلنة استناداً إلى الإنصاف والعدالة، ونعلن استعدادنا لأى مناظرة فقهية وعلمية مع أساتذة بارزين من الأزهر.

فى الختام، نسأل الله العظيم أن يهدى قلوب المؤمنين نحو الحق والعدل، وأن يقوى وحدة الأمة الإسلامية، ويجفف جذور الفتنة والعدوان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.